

مدرسة محمد علي الصناعية

لا بد من الصناعة لكل بلاد تريد تجارة غيرها من البلدان الراقية مراعي الفلاح ولو كانت زراعية محضة كالقطر المصري . لكن ارتقاء الصناعة في البلاد حتى تصير صناعية تكسب من تصدير مصنوعاتها يقتضي ان تكون فيها مواد الصناعة الاصلية كالحديد والنحاس ومحركاتها كالخجم الحجري والمياه المنحدرة من اماكن عالية . فان لم تكن فيها تلك المواد والقوى لم تصير صناعية . مما اهمت بتعليم الصناعة . وهذا لا يفيد نفي الصناعة منها باتبانها لانها لا تستغني عنها . مما كان حالها ولذلك فقولنا ان القطر المصري قطر زراعي لا قطر صناعي يفيد انه يكسب من اصدار حاصلاته الزراعية كالقطن والفلو والخططة ولا يكسب من اصدار الحديد المسبوك والآلات والادوات وسائر المصنوعات التي تناظره فيها البلدان الصناعية . غير ان ذلك لا يعنى من عمل بعض ما يحتاج اليه من المصنوعات التي يسهل عملها فيه واصلاح ما يرتقى به اليه يصنع في البلدان الصناعية . ويمجال العمل في ذلك واسع جداً والربح منه وافر يكفي الالوف من ابناء هذا القطر ويفيد عن كثير مما يرتقى به من البلدان الاخرى

ولسنا ممن يبالغ في فائدة الصناعة لبلاد مجال الكسب فيها من الزراعة اضعاف ما هو من الصناعة ولكننا لا نبغض الصناعة حقها ولا نستحس اهل البلاد لها لاسباب وانها مكنته للزراعة ولا غنى للبلاد عنها . وقد مضى الزمن الذي كان الشرف يمد الصناعة فيه عاراً وصغاراً ويترفع عن مخالطة صنّاع بلادهم ازدراء واحقاراً واصبح عقلاء الشرقيين بقدرون الصناعة قدرها علماً منهم بفعلها في ترقية شؤون الاوربيين وبفضلها في رفاهة عيش المتدنين فلا يفرقون اليوم بين ابن الحائك وابن المالك . ولا ارتفاع قدر الصناعة عندهم ومطابقتها لمقتضى احوال هذا الزمان الذي حلت فيه الآلات الكهربائية والعدد البخارية وقومها من الآلات المتقنة التي سخرت بها القوى الطبيعية محل الآلات والادوات الساذجة القديمة واستت الصنائع المختلفة على المبادئ العملية من طبيعية وكياوية وميكانيكية لا على مجرد التجربة والاستقراء — اقبل كثيرون من ابناء المصريين على التعلم الصناعي في مدارس القطر الصناعية واولها واقدمها عهداً مدرسة بولاق الصناعية التي اسمها محمد علي باشا كبير العائلة الخديوية لتعليم احداث المصريين الصنائع المختلفة مدة خمس سنوات متوالية فخرج منها الف وتسعة وستون صنّاعاً في الخمس عشرة سنة الماضية وفيها الآن ٣٧١ طالباً

ولا يكاد الانسان يذكر هذه المدرسة حتى يتذكر مدرسة المتصورة الصناعية لانها ما

كثافتها من انشاء الحكومة وكذا المدرسة الصناعية التي انشأها الحكومة منذ عامين برئاسة جنسن باشا لتعليم الحدادة وخرافة المعادن والتجارة ولا سيما عمل المركبات وصناعة الصنغ وصناعة السروج والاصفان ونحوها مما يصنع من الجلد واللحّن واللوان وعن قريب تفرغ الحكومة من انشاء مدرسة صناعية مثل هذه في مدينة اسبوط ايضا

فهذه المدارس الاميرية الاربعة تدل على رغبة الاهالي في تعلم الصناعة وهذه الرغبة تسر بحبي الوطن ولكنها لا تنفي غليلاً لانها موقوفة على عناية الحكومة لا على ميل حي نامر متأصل في قلوب الامة. ولا مشاحة في ان الحكومة المصرية من ارق الهياث لا في الشرق وحده بل في الغرب ايضا فلا يستعظم منها انشاء المدارس الصناعية ولا يستأنم انقائها لما ان تكون الرعاية نفسها قد تقدمت وارتقت الى درجة تناسب ذلك الاتقان بل لا بد للدلالة القطعية على تقدم التعليم الصناعي في هذا القطر ورغبة الاهالي في تعلم الصنائع ان يكون للامة نفسها يد في انشاء المدارس الصناعية مسئلة عن يد الحكومة فعلاً ولو كانت تستمد منها الارشاد وتكتسب ثمار الاختيار في تنظيمها ودارتها وما شاكل ذلك

وهذا ما قد حصل فان الامة تنسبها اظهرت ميلها الحي النامي الى تعلم الصنائع وترقية التعليم الصناعي بسعيها في انشاء المدارس الصناعية مستقلة عما كان من بابها من مدارس الحكومة ومدارس الاجانب المحبين الخير لهذه الامة . وهذه المدارس الصناعية الوطنية منها ما فتح كالمدرسة الصناعية التي انشأها محمود باشا سليمان في ابي نجيج ومنها ما جمع المال له ولم يفتح بعد وهو المدرسة الصناعية القبطية والمدرسة المقصودة بالكلام في هذه المقالة وهي مدرسة محمد علي الصناعية اهم مدارس الامة الصناعية شأنًا وادبها مكانًا لانها غير قائمة على مال الحكومة ولا على مال فرد من افراد المحسنين المدودين بل على مال مجموع من جماهير المتبرعين من اهل القطر بحسن مساعي جمعية العروة الوثقى البهية لتعليم الصناعة لا كبر عنصر من العناصر التي تتركب منها الهيئة المصرية . فان المال الذي جاد به المتبرعون لانشاء هذه المدرسة بلغ ١٢ الف جنيه ثم وقف لها المحسن الكبير مشاوي باشا مئة فدان يبلغ ريعها السنوي ما يقوم بمجانب كبير من نفقاتها ولولا الضربة في وجود الملل المواتق لبناؤها لبنت وفتحت منذ زمان اما الآن فان الافاضل الذين عنوانهم الاموال لما وسعوا في تدبير امرها وتجميل زمان انشائها احتفلوا بوضع الحجر الاول من اساسها في الاسكندرية في ٢٣ مايو احتفالاً عظيماً حضره الجناب الخديوي وجمهور كبير من الكبراء والعظماء ولما انتظم الاحتفال تلا بعض من تلامذة المدارس التي انشأتها جمعية العروة الوثقى خطاباً وجيزة تناسب المقام

من ذلك خطبة تليده قال فيها

مولاي - ان معشر الاطفال من ابناء رعاياكم المخلصين تخنق قلوبهم في هذا اليوم فرحاً بانعطافكم السامي وأنا وان كنا صفاراً انعي ما في هذا الانعطاف من معانٍ كبار نعم انتم تودون لنا الرقي بالمعارف النافعة في الدين والدنيا وتسرون بنا ما كنا حيث تودون . ولسروركم بنا اكبر يوم تروننا رجلاً شغالين ترمي يانفتنا في مناويز الحياة قائدا العلم ورائدنا طلب الكسب الخلال يوم لا يكون تفاوت الدرجات بيننا بغنى الآباء ووطنطنة الانساب والالاقاب بل بالعلم والعمل يوم ينتخر مثلي بصتعة يحكمها فيقال هذا من عمل فلان لله دره لقد احسن واجاد هنالك يا مولاي تبادون بنا الامم وهنالك الفوز الصحيح لوطنتنا المحبوب وما هذا اليوم عنا يبعد نها هي تباشيره بدت تخنجال بين بهاء المظاهر وعتاف الرعية بالدعاء لكم وفي هذه الساعة السعيدة تصعون يديكم الكريمة اول حجر لاساس اول مدرسة صناعية بدينة الاسكندرية فيوركت الساعة وبورك الحبر سيذكر التاريخ هذا اليوم وهذه المدرسة كما ذكر عصر جدكم لا كبر وما شيد من دور للصناعة والعلم يقول لنا اجدادنا كان لنا من المآثر والمفاخر كيت وكيت فنقول لا اولادنا نحن احيينا منها ما اندثر . يقول اجدادنا كان من عصرنا محمد علي الكبير فنقول لا اولادنا ان لنا من عترته عباس حلي الثاني وخطبة تليده من تلامذة مدرسة الخمالين قالت فيها

مولاي - ان قيل ما لابتة حمال صعوك ومخاطبة الملوك قلت هكذا اقتضت شيم مولاي النباه اذ يسط جناح الرحمة للساكين والضعفاء ونحن معشر البنات اكثر فرحاً في هذا اليوم بعمل من شأنه تخفيف ويلات البطالة والكل وما شقاء العائلات ربيب كرب الالهات فهذا الاحساس فنظر الى هذا الاساس وقد اودعناه الآمال سائلين لله حسن المآل ان يحفظ مولانا لامته وبيته لرعيه

ثم تقدم دولفور باض باشا رئيس الاحتفال وقال مخاطباً الجناب الخديوي

مولاي - اشرف بان اقدم لمقامكم السامي ما انتم اهل له من واجب الشكر ومزبد الامتنان على ما تفضلتم به من تشريفكم هذا الاحتفال تشبيهاً وتشجيعاً للعلوم والمعارف وعلى ما اكرمتم به من المنح الجليلة وما بذلتوه من العناية والمساعدة الجزيلة في اظهار هذا المشروع من حيز الفكر والتصور الى عالم الوجود والعمل وهذا هو من مقتضى سماياتكم الكريمة التي جبلت على حب فعل الخير لاهالي البلاد التي فلدكم الحق سبحانه وتعالى مقاليدها

مولاي - هذا اليوم يوم عظيم يرم مبارك نخشل فيه تحت حمايتكم ورعايتكم العلية بوضع

اول حجر لاساس مدرسة صناعية اهلية البلاد في اشد الاحتياج اليها وقد اطلق على هذه المدرسة تيمناً اسم ذلك الرجل العظيم الذي له المآثر الجليلة على هذه البلاد ألا وهو جدكم الاكبر محمد علي . هذا الاثر الذي هو من جلائل الاعمال التي تستعد بالثنا والثناء والفوائد العميمة على هذه البلاد مما تشرح له الصدور وتروح اليه النفوس ويسر له وهمهم يوكل غير محب للغير والعلم سيبقى ان شاء الله تعالى مثملاً وتذكراً حياً لاسمكم الشريف ومحاسن عهدكم الشريف على مدى الازمان والاحقاب

حق علينا ان نعترف ونعترف هو هؤلاء الرجال الكرماء الذين تبرعوا وجادوا بالاموال وبالمثل هؤلاء الرجال الفضلاء اعضاء جمعية العروة الوثقى ورئيسها المقدم الذين قاموا بهذه الاعمال المهمة في خدمة الامة وبانجاز هذا المشروع الجليل . نخص بالذكر ايضاً ما اناه اعضاء هذه الجمعية من الاعمال المبرورة والساعي المشكورة من نشر العلوم والتربية بين مواطنهم وما احدثوه وشادوه في النفر من المدارس والمكاتب العديدة المعدة لتربية الصبيان والبنات التي تراها قد نمت وزدهت ونجحت نجاحاً تاماً في زمن وجيز

هذا شاهد عدل بفضل كل من تكرم بالمال وكل من جاد بالاعمال فجزاهم الله عنا خيراً واخص بالذكر ايضاً علي الاتراد احد اعضاء هذه الجمعية وهو خليل بك حماده رجل الجهد والنشاط بما هو قائم به من اعباء جمعية الخالين وما ادراك ما هي . جمعية صغيرة الاسم كبيرة للثنا بما احتوت عليه من المنبرات والحسنات وما آوت من اولاد الفقراء والمساكين الذين التزمت تربيتهم وادابهم واتسألهم من هدة الفقر وظلمة الجهل والثقاء الى طريق السعادة والهناء فحق له على ذلك منا خالص الشكر . وفي هذا المقام ايضاً يجب علينا الشكر الى جناب شيتي بك مدير عموم الجمارك والثناء عليه بما شمل هذه الجمعية الخيرية من العناية والمساعدة حياً بالانسانية والمروءة والامل وطيد بان لا ينقطع عن هذا العمل المبرور

ولا يفوتنا ذكر الجليل الذي صدر من كرماء الاوروبيين المستوطنين بيننا وما تبرعوا به من المال لسخاء وكرم وجادوا به من الخدم مساعدة لجمعية العروة الوثقى ولا نجاز هذا المشروع فنذكر لهم ذلك بلسان الشكر والامتنان ولا ننسى لهم هذه المنة على عمر الايام

ولا ننسى ايضاً ما كلف نفسه به سعادة جونسون باشا من الاتعاب ابتغاء خدمة الانسانية والمدنية باشتراكه في الاعمال مع اعضاء الجمعية وارشاده لم بما له من سعة الاطلاع والاختبار حتى تقررت رسوم بناء هذا المثل ونقرر كل ما يلزم لهذا المشروع الذي كان له فيه الحظ الاوفر فله منا خالص الشكر على هذا الجليل

جناب اللورد كرومر اعتذر اليوم عن الحضور في هذا المحفل لثغيبه عن مصر . كل من يعلم ما له من المقام الارفع والنفوذ الشامل في هذه البلاد وبالاخص ما له من اليد الطولى في كل ما له مساس بالمصالح والمنافع العمومية فهذه اليد الفعالة قد شملتنا وهي التي كانت لنا معوناتنا بل متمماتنا ومكملاتنا لهذا المشروع فحق علينا ان نعترف له هذه المرة ونقدم لجنابه واجب الشكر ونثني عليه اطيب الثناء ولا نبرح نترجاه بان لا يترك هذا المولود في مهده صبياً بل يراعيه بعين عنايته ويؤاسيه وبواليه الى ان يتربى ويبلغ اشده ويصير رجلاً قوياً يقوم باود نفسه

مولاي : اسمع لي بان اتكلم بما يحتاج ضميري . اذا نظرنا وتاملنا الان الى ما جريات الاحوال وطبقنا ماضيها على حاضرها نجد ان الاحوال والافكار قد تغيرت تغيراً كلياً واتخذت لها مجرى جديداً نحو التقدم والترقي وبث العلوم والمعارف وانتشارها في كل بقعة من بقاع البلاد وكل ما نراه امام اعيننا من هذه المشروعات العلية الادبية والمؤسسات الخيرية الاهلية ترويضها بعضاً لا نشك ولا نرتاب بانها اثر من آثار هذا الانقلاب فلا حاجة بنا الان ان ندخل في موضوع الشرح والتأويل ولا في البحث والتدقيق في علل الامور ومسبباتها بل نكتفي الان بان ننظر بعين البصيرة والاعتبار الى ما كنا عليه بالاسم وما نحن فيه اليوم ونهنيء انفسنا ونتهلل بشراً ونسجد لله شكراً على ما وصلنا اليه من التقدم الباهر مستبشرين بما تدلنا عليه قرائن الاحوال بمستقبل زاهر

ولا مشاحة ولا جدال ان الفضل في هذا كله راجع الى كبار الامة وعظماؤها وعقلائها الذين هم قادة افكارها فجزوهم من الله التوفيق وزيادة الائتنام والوفاق فيما بينهم حتى يثابروا ويستمرروا على السير في هذا المجرى الجديد ويصرفوا كل قواهم في ازالة كل ما يحدت امامه ويعقبه من العقبات والموانع وبهذه الوساطة لا غير يمكننا ان نحفظ قوامنا في وسط معترك هذه الحياة الدنيا ونعيش بهناء وسلام . وفي الختام نتهل الى الحق سبحانه وتعالى ان يؤيد عرشكم الدامي ويزيد في نفوذكم ليكون لنا ظللاً ظليلاً انه سميع عجب فشكروه الجناب العالي وقال له ما معناه انك لقد اعربت عما في قوايدي من السرور لهذا العمل الجيد ونظقت بلساني فيما سردته من عبارات الشكر لمؤسسي جمعية العروة الوثقى ولحضرات رئيسها واعضائها ولحضرات الذين ساعدوا باموالهم وحسن مساعيهم لاحياء هذا العمل الجيد وقد زاد سروري ما رأيت من جد الاسكندر بين وسعيهم في تشييد الاعمال النافعة وسبقهم في ذلك جميع مدن بلادتي لان في الاسكندرية قد كان مولدي ويسرني

ان يكون سبق لسكانها في كل عمل خيري وكل مشروع مفيد كما انه يسر في ان اضع اول حجر في اساس اول مدرسة صناعية تشاد في الاسكندرية وتحتي اجل اثر من آثار جد العائلة الخديوية فلنتقدم بسرور وافتخار لتضع هذا الحجر

ثم تقدم الى حيث يوضع الحجر في الاساس وتبعه البرنس عمر باشا طوسن ورياض باشا وثقوي باشا ناظر الاشغال العمومية وصدقي باشا محافظ الاسكندرية ومحمد بك سعيد رئيس جمعية العروة الوثقى ورفقوا ومحضر الاحتفال ووضعت اشكال النقود المصرية والجرائد اليومية في صندوق صغير وضع في الاساس ووضع الجناز الخديوي الطين للحجر وأنزل الى مكانه بألة كانت ترفعه وتم الاحتفال

ولا شبهة في ان انشاء هذه المدرسة من فوائح التعاون على انشاء المدارس الصناعية فله شأن كبير من هذا القبيل لكن انشاءها لم يقترن باظهار الهمة العالية والغيرة القوية التي يندبها بعض ابناء هذا القطر في ما يحسبونه من وجوه البر كإيقانهم العقارات الواسعة الريع على الجوامع والتكايا. فلا يدران تسع بواحد يرفف الف فدان ريعا في السنة بضعة آلاف من الجنيهات على اعال قد لا تفيد احداً او قد تعلم بعض انكسالى الغلوف الكسل والتوكل. فاذا كان في البلاد حمة قوية فرجال اظهارها واسع جداً والمباراة فيه من خير الاعمال التي تكسب الذكر وتنفع الوطن. فان البلاد تحتاج الى مدرسة جامعة تبلغ نفقاتها في السنة عشرين او ثلاثين الف جنيه تعلم تلامذتها العلوم الطبيعية والفلسفية والادارية والتجارية ونحو ذلك من مما يتعلمه قادة الامم. وهي في اشد الحاجة الى مئات من المدارس الابتدائية والمدارس الزراعية. فاذا تعلم جمهور المزارعين مبادئ العلوم الطبيعية واصول العاوم الزراعية. فلا يبعد ان تزيد حاصلات الارض عشرة في المئة او عشرين في المئة وما ادراك ما ذلك فان قيمة الحاصلات الآن نحو خمسين مليوناً من الجنيهات فاذا زادت عشرة في المئة فقط بانفان الاساليب الزراعية بلغت الزيادة في السنة خمسة ملايين من الجنيهات وهي تعادل اكثر من مئة مليون من راس المال وعندنا ان ما نذكره دوماً من امثلة المحسنين الاوروبيين والاميركيين لا بد وان يحرك غيرة بعض الاغنياء الواسعي الثروة حتى يجودوا بمجائب كبير من اموالهم على انشاء هذه المدارس فتنتفع بها البلاد اضعاف ما انتفعت من الاوقاف الخيرية